محكمة الأدباء

رد على مقال (١)

بقلم : السيد غالب طعمه فرمان

حضرة الاستاذ رئيس تحرير البيان

قرأت في مجلتكم الزاهرة ، وفي باب « مطالعات في الادب والحياة » كلمة بقلم « رقيب » ينقد فيها مقالتي عن الشعر المنشورة في مجلة الهاتف النجفية، وشاء الرقيب ان يتناول المقالة ساخراً ويمزقها تمزيقاً ، ويبتز منها شاء دون برهان يدعم كلامه ، ودون حجة تسند رده . بل القى الكلام جملا مرصوصة ، وكلمات مرتبة . وعلى رغم اني لم ار في اسلوب الكاتب شيئاً جديداً يمكن الرد عليه ، وحكماً ادبياً يستطاع الجدل فيه ، وجدت في نفسي رغبة ملحة في الرد عليه تبياناً للحقيقة ، ودفعاً للالتباس، ولست ادري اتتسع مجلتكم لمثل هذا الرد، وتقدر حرية الرأي، ولا تمانع من نشر الآراء المختلفة احتراماً للصحافة ام تطوي المقال، وترميه في سلة المهملات ، وتلعن صاحبه ذلك لانه عبر عن راي ارتاه ووجهة نظر اتخذها ؟

انكر علي الرقيب حكمي على قراءة الشعر العربي بأنها تشبه قراءة الصحف اليومية.. نعم ! . ذلك لأني افرق بين لغة الشعر ولغة الفكر ، افرق بين لغة القلب والعاطفة ، ولغة العلم والمنطق . فلهذا فأنا احب قراءة الشعر الذي اقف امام كل بيت منه لاستمع بجماله ولأجد فيه اللذة الروحية . فأنا لهذا لا أحب الشعر البسيط الذي لايشغل النفس والعاطفة والقلب وانا ـ والنعمة من الله ـ لست ممن يعجبون بالتزاويق وينخدعون بالتوشية ، ويغرهم الاسلوب المطلي بالدهان اللفظي . وشعراؤنا لم يملكوا إلا تلك الحلل البراقة والاساليب المطلية ـ الا اذا استثنينا بعض الشعراء الذين يسمقون في صحراء الشعر العربي كالواحات الظليلة ـ ولن نجد من البقية الزاخرة من شعرائنا القدامى الا الحكم المنفعلة ، واصطناع العواطف الرخيصة واصدار المواعظ والامثال ، وتصدير العواطف الى صدور القراء الظامئين المحرومين . فأنا لست احب الواعظ ولا المداح المزوق المبرقش شاعراً . بل اعرف الشعر ترجماناً يعبر عن عن عواطف الانسانية ، ونبضات خافقة من قلب الوجود الحي والاستاذ يعرفه ـ كما هو ظاهر من دفاعه ـ القاء الحكم والامثال والوقوف على الدمن والاطلال ، وتجنيس الالفاظ ، وترصيع الاساليب والمديح والرثاء والصناعات اللفظية . انا لا اريد الشعر يلقي علي حقائق ذهنية جافة ، وبديهيات منطقية لان هذا ليس من الشعر في شيء بل اريده لغة القلب النابض ، والعاطفة الصادقة . واستبيح الاستاذ العذر من عد المدح والرثاء والصناعات اللفظية لوناً من الوان الادب . لان اغلب ماخلفه السلف لنا من المدح والرثاء افسده التكلف، وطمره حب المال ، والمقامرة على الشهرة ، والمجازفة لنيل المنزلة ، والحظوة عند الملوك كل ومضة من ومضات الروح ، وكل خفقة من خفقات القلب الشاعر . واعمى رنين المال بصائر شعرائنا ، وخنق فيهم كل ابداع .. ستقول كيف يكون ذلك ونحن نرى الازدهار في الشعر ، والكثرة من الشعراء في عصر الخلفاء العباسيين ؟ هذا صحيح ولكن الزحام على الملوك ، والتكالب على مجالس الامراء حول الشعر العربي الى ناحية التزويق ، واحكام الصناعة اللفظية ، وتوشية الكلام، وصيد الشوارد من الطباق والجناس وسائر المحسنات اللفظية وتاريخنا يشهد على ذلك . وكل هذا يطرب الملوك واولي الثراء الواسع ، ويستميل قلوب الامراء الى الشعراء لانهم عبروا عن محيطهم الباذخ . وانت تعرف ان الفراغ مفسدة وان شعراءنا حاولوا التزويق مراعاة لنفسية الملوك التي تحفل هذا النوع من الصياغة لانه وليد الغنى والفراغ وحاول الشعراء ـ كذلك ان يرتفعوا الى منازل الملوك ويقحموا انفسهم بالخيال الثري ، فأستعاروا عقولا غير عقولهم ، وعبروا ـ ولم يصادفهم التوفيق ـ عن محيط غير محيطهم ناسين حالتهم النفسية ، ومحيطهم الواقعي، واحساساتهم الحقيقية، وانفعالاتهم

(١) البيان تأسف لسهو الرقيب عن نشر هذا المقال وتأخره هذه المدة غير المشروعة والتي تذهب من قيمة الرد قالى الكاتب الفاضل اعتذاراتنا المشفوعة بالاحترام

فالوجدانية، واسكتوا شخصيتهم.. وتلك الطامة الكبرى يامولاي ليست في دنيا الناس.. ولكن في دنيا الادب فالله ارحم بالعباد من ان ينزل الطامات المتعددة على رؤوسهم . . وانا ارى ان تلك المجالس الادبية في قصور الملوك خنقت حديث الروح بقدر مارعت نتاج الفكر فبي ويل على شعرائنا ، ورحمة على علمائنا. فلهذا فأنا لا انكر ان في اللغة العربيه علماء متعمقين في مفردات اللغة . ولكنني لااصف هذا التيار الزاخر بالنظامين في ادبنا العربي القديم بالشعراء الفنانين الممتلئين حساسية وشعوراً ووعياً . ولكنني استخرج منهم بعض الباقات الشذية ثم اعدما تبقى لغواً لاجدوى فيه ونظماً لااثر للشعر فيه. وليرجع الرقيب الى دواوين الشعراء ثانية وليقراها بامعان وبفكر غير جامد بعد ان يغير رأيه في فهم الشعر ويبعد عنه آراء النقاد العرب ليرى ماراًيت من جريرة مجالس الامراء على الشعر العربي . فقد اذوت ظلال الشخصية الشاعرية ، والقت على الشعراء برداً واحداً ، ووسمتهم بسمة واحدة ، فكان شعرهم ذا طابع واحد ، ونغماتهم رتيبة ، واسا ليبهم متشابهة . ويعرف الرقيب مصداق ذلك اذا خرج عن نطاق مجالس الامراء واندية الخلفاء فيرى الابداع والعبقرية التي تومض ايماضاً يخنقه في كثير من الاحايين ـ روح العصر اللفظية وذوق الجمهور الفاسد ورأيهم الخاطىء في فهم الشعر ، وآثار ذلك موجودة في لزوم مالا يلزم المعري . . والشاعرية عند ابن الرومي ذلك الرجل الذي ابى الا ان ينقاد لحديث قلبه ، واهاجيس روحه واحاسيس وجدانه ، وشفق على شخصيته من الخنق ، وعلى آرائه من الهرم هذه الشاعرية لم تخلقها المجالس الادبية الاميرية بل خلقتها ظروف الرجل ، والاستماع الى صوت محيطه والاستجابة الى واقعه فكان حتى في المدح حراً يعبر عما في قلبه . ومثل هذا الشاعر المعري اوعندنا شاعر آخر هو المتنبي ذلك الشاعر الذي لم يسكت صوت شخصيته ولا استطاع ان « يشطب » مايمليه عليه قلبه ، فأضفى على شعره ظله . واغلب الظن ان الرقيب قرأ [يتيمة الدهر] للثعالبي مع ذيلها لان رجلا واسع المحجة ، عميق الفكرة ، غزير الاطلاع لابد من ان يكون قد قرأ ماتشدق به كتابنا من آثار . وانا [الرجل القليل الصبر ، الضعيف الارادة] قد قرأتها ويحق لي ان انسبها لشاعر واحد لانعدام شخصية شعرائها .

اما شعراء العصر الاموي فهم احق شعرائنا بالاجلال والدرس والشهادة لهم بالنبوغ ـ على رغم بساطتهم ـ لانهم عاشوا في العصر الذي لم تكن للسياسة او للحكومة اي سلطة لها عليهم . والاستاذ يريد ان يعرف الشعر الذي ادعو اليه كأني لم اذكره في مقالتي السالفة وعلى رغم ذلك فانا رهن اشارته . انا ادعو الى الشعر الذي يغذي روحنا ، ويصقل عواطفنا ، وينقلنا الى عالم الفن الجميل ، انا اريد الشعر الذي ينفعنا بالتجربة الشعورية ، ويعرض علينا احاسيس قلبية انسانية الشعر المرهف الحساس الشعر الواعي المستوعب كل الوجود ، الشعر الذي ينظر الى الكون كوحدة والى الطبيعة كعالم حي يجول فيه مايجول في العالم الانساني فيعبر عنها ، ويستوعب وحيها ويدرك ماتقول البلابل والاشجار والصخور والطريق الصامت المهجور فاين كل هذا من الشعر العربي المصفد ؟

انا لااعتبر كل من نظم على الوزن البسيط اوالطويل والتزم القافية الواحدة شاعراً لان النظامين كثيرون في ادبنا العربي وانا اشفق على اصحاب العقول السخيفة ، والاقلام المهزولة المتشدقين بالاقوال ، المرددين ـ كما ترددالببغاوات ـ كلمات قالها الاقدمون فالموت اجدي لهؤلاء وانفع وليعلم الرقيب اني لست [من بعض الشباب المثقف الذي يرمون ادبنا العربي بكل نقيصة] فتلك اقوال سمعتها حتى مللتها ، سمعتها ممن لايملكون الحجة ، ولا يستطيعون تقديم البرهان .

وكثيرون يرمون من يأبى ان يقلد وان يسير على نهج مضت عليه السنون يحب الظهور والشهرة كأن الشهرة تحرير المقالات في الصحف المحلية ، وكأنها خرطوم الفيل .لاينـاله الا من ملك الصبر والشجاعة على الوقوف امامه . واست ارى ذلك إلا حجة العاجز ، وعصا الاعمى ، وكلام البليد. هؤلاء الناس ليس لهم الا ان يطبلوا وان يزعروا بنوق امرئ القيس ، ويفخروا بتراث الجاحظ ، وببلاغة ابن المقفع ، وسلاسة البحتري وبصناعة ابي تمام وبسخافة العقول الآسنة ؛ والادب المنخوب . هؤلاء العجزة الرعاديد اولى لهم ان يصمتوا وان